

العَتَبَةُ الْعُلُوْبَةُ الْمُقَدَّسَةُ

سلسلة في رحاب نهج البلاغة - ٨

الإنسان في نهج البلاغة

إعداد
مكتبة الروضة الحيدرية

الإنسان في نهج البلاغة

- الناشر: العتبة العلوية المقدسة
 - إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية
 - تنضيد وإخراج: نذير هندي الكوفي
 - عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة
 - السنة: ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م
-

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني :

.info@haydarya.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد:

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢).

نرى هنا الترابط الوثيق بين الآية الأولى والثانية، حيث إن الأولى تدلّ على الانتخاب الإلهي لاستخلاف الإنسان في الأرض، والآية الثانية تشير إلى استجابة الإنسان لهذه الأمانة ولهذا الاستخلاف، وهو مع هذا غير عارف بأهمية الأمر وثقله، وعليه جرى القضاء والقدر على أن يخوض غمرات البلايا والاختبار في الدنيا ليصير مؤهلاً لهذه المهمة «فتعقب ذلك أن انقسم الإنسان من جهة حفظ الأمانة وعدمه بالخيانة إلى

١- البقرة: ٣١.

٢- الأحزاب: ٧٢.

مناقق ومشارك ومؤمن، بخلاف السماوات والأرض والجبال فما منها الّا مؤمن مطيع»^(١).

نحن هنا في حلقة أخرى من «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» نحاول تسليط الضوء على ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة ممّا يخصّ الإنسان من المبدأ إلى المنتهى، إذ كما ورد في الحديث الشريف: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

١- تفسير الميزان للطباطبائي ١٦: ٣٥٠.

الله والإنسان

١- الخلق:

يشير أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه إلى أنّ الله تعالى ابتدع الخلق وأنشأه ابتداءً من دون أن يكون له مثال سابق، بل هو إنشاء جديد تم إيجاده بالقدرة والإرادة الإلهية.

وبهذا الصدد يقول عليه السلام: «فطر الخلائق بقدرته... أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها»^(١).

وقال عليه السلام: «الذي ابتدع الخلق على غير مثال أمثله، ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله... المنشع أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها، ولا قريحة غريزة أضمر عليها، ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور، ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور»^(٢).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٠.

وقال ﷺ: «خلق الخلق على غير تمثيل، ولا مشورة مشير، ولا معونة معين»^(١).

ثم يشير أمير المؤمنين ﷺ إلى أنّ سبب الخلقة ليس لافتقار الله تعالى أو احتياجه أو لنفع يعود إليه، فقد قال ﷺ: «لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، ولا تخوف من عواقب زمان، ولا استعانة على ندّ مئاور، ولا شريك مكائر، ولا ضدّ منافر»^(٢).

وقال ﷺ: «لم تخلق الخلق لوشحة، ولا استعملتهم لمنفعة»^(٣)، وقال ﷺ: «لم يكوّنوها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندّ مكائر، ولا للإحتراز بها من ضدّ مئاور، ولا للإزدياد بها في ملكه، ولا لمكائرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها»^(٤).

وقال ﷺ: «لم يخلقكم عبثاً، ولم يرسلكم هملاً... لم يذراً الخلق باحتيال، ولا استعان بهم لكلال»^(٥).

وقال ﷺ: «ومهلكم في مضمار محدود للتنازعا سبقه»^(٦)

وقال ﷺ: «ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٦.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٥.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٩.

الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار»^(١).

ثم يشرح عليه السلام كيفية خلق الإنسان ويقول: «ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها، تربة ستنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت معدود، وأجل معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذا أذهان يجيئها، وفكر يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة من الحر والبرد، والبلّة والجمود، والمساءة والسرور»^(٢).

وقال عليه السلام: «أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار، نطفة دفاقاً، وعلقة محاقاً، وجنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً، ثم منححه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً؛ ليفهم معتبراً، ويقصّر مزدجرأ»^(٣).

وقال عليه السلام: «أيها المخلوق السوي، والمنشأ المرعي، في ظلمات الأرحام، ومضاعفات الأستار، بدئت من سلالة من طين، ووضعت في

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٧٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

قرار مكين إلى قدر معلوم وأجل مقسوم، تمور في بطن امك جنيناً لا تحير دعاء، ولا تسمع نداء، ثم اخرجت من مقرّك إلى دار لم تشهدها، ولم تعرف سبل منافعها»^(١).

٢- معرفة الخالق:

لابدّ للإنسان بعد مجيئه إلى الدنيا أن يعرف خالقه، إذ إنّ «أول الدين معرفته»^(٢) لكن السؤال الذي يطرح نفسه بجد، إنّ الإنسان هل يستطيع أن يعرف كنه الباري تعالى، وهل يتمكن أن يحيط به علماً؟! ربما تختلف المدارس والمذاهب الكلامية في الأديان المختلفة في الإجابة على هذا السؤال، ونحن لسنا هنا بصدد البحث عن الأقوال والآراء والمناقشات المطروحة في هذا الأمر، وإنما الذي يهمنا معرفة رأي أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة، إذ أنّهم امناء الله تعالى على وحيه ودينه، وهم أهل الذكر الذين أمرنا بالسؤال عنهم.

ولما نراجع كلام أمير المؤمنين عليه السلام - وهو سيد العترة - في نهج البلاغة، نرى أنّه عليه السلام ينفي استطاعة الإنسان على معرفة كنه الباري تعالى، إذ يقول عليه السلام: «الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن»^(٣) وقال عليه السلام: «لا تقع الأوهام له على صفة، ولا تُعقد القلوب

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

منه على كيفية»^(١).

وقال **عَلِيٌّ**: «هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتولّعت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته، ردعها وهي تجوب مهاوي سُدف الغيوب، متخلّصة إليه سبحانه، فرجعت إذ جبهت معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزّته... فأشهد أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقائق^(٢) مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لاندّد لك، وكأنّه لم يسمع تبرؤّ التابعين من المتبوعين إذ يقولون: «**تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**»^(٣).

كذب العادلون بك، إذ شبّهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم، وجزّأوك تجزئة المجسّمات بخواطيرهم، وقدّروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم. فأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك، والعاذل

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٤.

٢- الحقائق: جمع الحق - بالضم - وهو رأس العظم عند المفصل.

٣- الشعراء: ٩٧ - ٩٨.

بك كافرًا بما تنزّلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حجج
بيناتك، وإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونُ فِي مَهَبٍ فَكْرَهَا
مَكَيَّفًا، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا [فَتَكُونُ] مَحْدُودًا مُصْرَفًا»^(١).

وقال عليه السلام: «فتبارك الله الذي لا تبلغه بعد الهمم، ولا يناله حدس
الظن»^(٢).

وقال عليه السلام: «من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه
فقد أبطل أزلّه، ومن قال كيف فقد استوصفه، ومن قال أين فقد
حيزه»^(٣).

وقال عليه السلام: «الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته،
وردعت عظمته العقول فلم تجد مساعاً إلى بلوغ غاية ملكوته... لم تبلغه
العقول بتحديد فيكون مشبهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون
ممثلاً»^(٤).

وقال عليه السلام: «لا يدرك بوهم، ولا يُقدّر بفهم»^(٥).

وقال عليه السلام: «لا تناله الأوهام فتقدّره، ولا تتوهمه الظن فتصوّره،
ولا تدركه الخواس فتحصّنه»^(٦).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٥.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٦.

بعدما عرفنا عجز الإنسان عن الوصول إلى معرفة كنه الباري، فهل هذا يعني تأييد نظرية تعطيل المعرفة؟! وللإجابة على هذا السؤال نرجع إلى نهج البلاغة مرة ثانية، ونرى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ينفي نظرية التعطيل، ويشير إلى أنّ الإنسان يتمكن من المعرفة الاجمالية التي بها يثاب ويعاقب، فقد قال عليه السلام: «لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يجربها عن واجب معرفته»^(١).

وهناك بعض الطرق للوصول إلى هذه المعرفة الاجمالية، وردت في نهج البلاغة، وهي كما يلي:

١- الأعلام والآيات الإلهية: قال عليه السلام: «فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود»^(٢).

وقال عليه السلام: «وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمسك قوته، ما دلّنا باضطراب قيام الحجة له على معرفته، وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته، وأعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجة له ودليلاً عليه، وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة»^(٣).

وقال عليه السلام: «فلسنا نعلم كنه عظمتك إلّا أنّنا نعلم أنّك حيّ قيوم، لا

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٩.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٠.

تأخذك سنة ولا نوم، لم يتته إليك نظر، ولم يدركك بصر، أدركت الأبصار، وأحصيت الأعمال، وأخذت بالنواصي والأقدام»^(١).

وقال عليه السلام: «الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه، وجمال كبريائه، ما حير مقل العقول من عجائب قدرته، وردع خطرات همهم النفوس»^(٢) عن عرفان كنه صفته»^(٣).

٢- مشاهدة القلوب: روي أنّ ذعلب اليماني سأل أمير المؤمنين عليه السلام وقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أفأعبد ما لا أرى؟» قال: وكيف تراه؟ قال: «لا تدركه العيون بمشاهدة، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مبين، متكلم بلا روية، مرید بلا همّة، صانع لا يجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالركة، تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته»^(٤).

٣- الرجوع إلى الثقلين: قال عليه السلام: «فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به، واستضي بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه، فإنّ ذلك منتهى حق الله

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٠.

٢- همهم النفوس: أفكارها.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٥.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٩.

عليك. واعلم أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الاقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقصر على ذلك، ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين»^(١).

٣- الإيمان والإسلام:

يظهر من سياق العبارات أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استعمل الإيمان والإسلام بمعنى متقارب، وإن كان هناك بعض الفرق بينهما من حيث العموم والخصوص، إذ إنّ الإيمان في البداية عقد القلب على الشيء أما الإسلام فهو المنظومة المتكاملة للسلوك الإيماني، وعلى كل حال فأوّل ما يجب على الإنسان بعد معرفة الخالق أنّما هو الإيمان به كما قال عليه السلام: «فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك»^(٢).

وهذا الإيمان يتمثل في الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله، كما قال عليه السلام: «إنّ أفضل ما توسّل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله»^(٣)، وقال عليه السلام: «لا شرف أعلى من الإسلام»^(٤).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٠.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٤٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٩.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٠.

وقال عليه السلام: «الحمد لله الذي شرع الإسلام فسَهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه على من غالبه، فجعله أمناً لمن عقله، وسلاماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، ولباً لمن تدبّر، وآية لمن توسّم، وتبصرة لمن عزم، وعبرة لمن اتّعظ، ونجاة لمن صدّق، وثقة لمن توكل، وراحة لمن فوض، وجنة لمن صبر.

فهو أبليج المناهج، واضح الولايج، مشرف المنار، مشرق الجواد، مضيء المصاييح، كريم المضمار، رفيع الغاية، جامع الحلبة، متنافس السبقة، شريف الفرسان. التصديق منهاجه، والصالحات مناره، والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حلبته، والجنة سبقتة»^(١).

وقال عليه السلام: «إنّ الله خصّكم بالإسلام واستخلصكم له، وذلك لانه اسم سلامة، وجماع كرامة، اصطفى الله تعالى منهجه، وبيّن حججه، من ظاهر علم، وباطن حكم، لا تفتى غرائب، ولا تنقضي عجائب، فيه مراتب النعم، ومصاييح الظلم، لا تفتح الخيرات إلّا بمفاتيحه، ولا تكشف الظلمات إلّا بمصاييحه، قد أحى حماه، وأرعى مرعاه، وفيه شفاء المشتفي، وكفاية المكتفي»^(٢).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٢.

وقال عليه السلام: «فمن يتبع غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته، وتنقسم عروته، وتعظم كبوته، ويكن مآبه إلى الحزن الطويل، والعذاب الويل»^(١).

وقال عليه السلام: «ثم إنّ هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه، وأقام دعائمه على محبته، وأذل الأديان بعزه، ووضع الملل برفعه، وأهان أعداءه بكرامته، وخذل محاديه بنصره، وهدم أركان الضلالة بركنه، وسقى من عطش من حياضه، وأتاق الحياض بمواتحه»^(٢).

ثمّ جعله لا انفصام لعروته، ولا فكّ لحلقته، ولا انهدام لأساسه، ولا زوال لدعائمه، ولا انقلاع لشجرتة، ولا انقطاع لمدّته، ولا عفاء لشرائعه، ولا جدّ لفروعه، ولا ضنك لطرقة، ولا وعودة لسهولته، ولا سواد لوضحه، ولا عوج لانتصابه، ولا عصل^(٣) في عوده، ولا وعث لفعجه^(٤)، ولا انطفاء لمصابيحه، ولا مرارة لحلاوته»^(٥).

ثم بين عليه السلام أنّ النطق بالشهادتين بداية التمسك بهذا الدين، حيث قال عليه السلام: «وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة ممتحناً لإخلاصها، ومعتقداً لمصائبها، نتمسك بها أبداً ما أبقانا، ونُدخرها لأهاويل

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦١.

٢- أتاق: ملاً، والمواتح: الدلاء يُمتح بها أي يُسقى بها.

٣- العصل: الالتواء والاعوجاج.

٤- وعث الطريق: تعسر المشي فيه، والفعج: الطريق الواسع بين الجبلين.

٥- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٨.

مايلقانا، فأنها عزيمة الإيمان، وفاتحة الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدحرة الشيطان، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور...»^(١).

وقال عليه السلام: «ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل، لا يخف ميزان توضعان فيه، ولا يثقل ميزان ترفعان منه»^(٢).

ويشرح عليه السلام كيفية الإيمان ويقول: «ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب، ووقوف على الموعود، إيماناً نفى إخلاصه الشرك، ويقينه الشك»^(٣).

وقال عليه السلام: «نؤمن به إيمان من رجاه موقناً، وأناب إليه مؤمناً، وخنع له مدعناً، وأخلص له موحداً، وعظّمه ممجداً، ولاذ به راغباً مجتهداً»^(٤).

وبما «أنّ الإيمان يبدو لمضة في القلب، كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة»^(٥). بدأ عليه السلام بذكر حقيقة الإيمان والإسلام وما لا بدّ أن يتصف المؤمن به، فقال: «فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلّا بالحق»^(٦).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٥ / من غريب الكلام.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٧.

وقال عليه السلام: «الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد:

فالصبر منها على أربع شعب: على الشوق، والشفق، والزهد، والترقب: فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات.

واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين: فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين.

والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم: فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً.

والجهاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين: فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة»^(١).

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٧.

وقال عليه السلام: «الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل»^(١).

وقال عليه السلام: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»^(٢).
وقال عليه السلام: «لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله سبحانه أوثق منه بما في يده»^(٣).

وقال عليه السلام: «علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك، وألّا يكون في حديثك فضل عن عملك، وأن تتقي الله في حديث غيرك»^(٤).

وقال عليه السلام: «فبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يستدل على الإيمان، وبالإيمان يعمر العلم...»^(٥).

وأخيراً بيّن عليه السلام أنّ درجات الإيمان متفاوتة وقال: «فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم، فإذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتى يحضره الموت، فعند ذلك يقع حدّ البراءة»^(٦).

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١١٨.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢١٧.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٠١.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٤٦.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٩.

٤- الحجة الإلهية:

قال الإمام الكاظم عليه السلام لهشام: «يا هشام إنَّ الله على الناس حجّتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول»^(١).

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل»^(٢).

إنَّ الله تعالى بعدما خلق الإنسان، وطلب منه الإيمان والمعرفة، وضع له ما يوصله ويدلّه إليهما، وهو حجة العقل وحجة الرسل، كما في الحديثين الشريفين المتقدمين، وعليه نتابع كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، لنقف على محتواه فيما يتعلّق بهذين الحجّتين:

١- العقل:

إنَّ الله سبحانه وتعالى خصّ الإنسان بمصباح العقل، لينير دربه في حياته ويوصله إلى كماله، وهو ملاك الجزاء والعقاب، وبه يقيّم الإنسان، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ أغنى الغنى العقل»^(٣) وفي لفظ آخر: «لا غنى كالعقل»^(٤) وقال عليه السلام: «ما استودع الله امرأ عقلاً إلّا استنقذه

١- الكافي للكليني ١: ١٦.

٢- المصدر نفسه ١: ٢٥.

٣- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٤.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٩.

به يوماً ما»^(١) وقال عليه السلام: «لا مال أعود من العقل»^(٢).

والعقل بكلا شقيه: النظري والعملي، محط نظر أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يشير إلى النظري ويصفه بالعجز عن معرفة كنه الباري تعالى ويقول: «ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين... أنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهبة فكرها مكيفاً، ولا في رويايات خواطرها محدوداً مصرفاً»^(٣). ومع هذا لم يجربها عن واجب معرفته، قال عليه السلام: «بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم»^(٤). وقال عليه السلام: «وأقام من شواهد البيئات على لطيف صنعته وعظيم قدرته، ما انقادت له العقول معترفة به، ومسلمة له»^(٥).

أمّا بالنسبة إلى العقل العملي، فيقول عليه السلام: «العقل حفظ التجارب»^(٦) وقال عليه السلام: «الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة»^(٧)، وقال عليه السلام: «لا عقل كالتدبير»^(٨).

-
- ١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٩٦.
 - ٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٠٧.
 - ٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٠.
 - ٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.
 - ٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٥.
 - ٦- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.
 - ٧- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٨.
 - ٨- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٠٧.

ثم يأمر عليّاً باستعمال العقل والاستفادة منه ويقول: «فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله»^(١) وقال عليّاً: «فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه، المانع لشهوته، الناظر بعقله»^(٢) وقال عليّاً في وصف السالك إلى الله تعالى: «قد أحيا عقله، وأمات نفسه»^(٣) وقال عليّاً: «لا يغش العقل من استنصحه»^(٤)، وقال عليّاً: «أين العقول المستصحبة بمصاييح الهدى»^(٥)، وقال عليّاً: «قاتل هواك بعقلك»^(٦).

ثم يشير عليّاً إلى علامات العاقل وما عليه من الصفات الحسنة ويقول: «إذا تمّ العقل نقص الكلام»^(٧).

وقال عليّاً: «التوّدّد نصف العقل»^(٨)، وقال عليّاً: «مثل الدنيا كمثل الحية: لئن مسّها، والسّم الناقع في جوفها، يهوي إليها الغرّ الجاهل، ويجذرها ذو اللب العاقل»^(٩)، وقال عليّاً: «كفأك من عقلك ما أوضح لك سبيل غيِّك من رشذك»^(١٠).

-
- ١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٤.
 - ٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦١.
 - ٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٩.
 - ٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٧٢.
 - ٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٤.
 - ٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١٢.
 - ٧- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٦٦.
 - ٨- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٣٣.
 - ٩- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١١٣.
 - ١٠- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٠٩.

وأخيراً يدعو ﷺ ويتعوذ بالله من سبات العقل ويقول: «نعوذ بالله من سبات العقل»^(١) وذلك أنّ مصباح العقل لا ينطفئ لانه الحجة الباطنية، ولكن قد يصيبه السبات والغبار مما يؤدي إلى تكدره.

وهنا يأتي دور الأنبياء والرسل لإنارة الطريق من جديد وإزاحة العلل، وفي ذلك يقول ﷺ في سبب إرسال الرسل: إنّ الناس لما بدلوا وتركوا العهد الإلهي واتخذوا الأنداد، أرسل إليهم الرسل حتى «يشيروا لهم دفائن العقول»^(٢).

ومن أهم أسباب سبات العقل متابعة الهوى، وفي ذلك يقول ﷺ: «كم من عقل أسير تحت هوى أمير»^(٣) وفي كتاب كتبه إلى شريح القاضي لما اشترى داراً فنصحه وذكره بفناء الدنيا وزوالها، وقال في آخره: «شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، وسلم من علائق الدنيا»^(٤) وكتب ﷺ أيضاً لمعاوية: «ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك...»^(٥).

ثم أنّ هناك بعض الأعمال المحرمة أو المباحة، تسبب سبات العقل كشرب الخمر الذي هو من المحرمات، حيث قال ﷺ: «فرض الله...»

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٠١.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦.

ترك شرب الخمر تحصيئاً للعقل»^(١).

وكذلك الكبر والفخر اللذان يأتيان بسبب سبات العقل، ولذا كتب ﷺ إلى مالك الأشتر وقال: «وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانتك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك، ويفيء إليك ما عزب عنك من عقلك»^(٢).

وكالمزاح الذي هو من المباحات حيث يقول ﷺ: «مامزح امرؤ مزحة ألاّ مجّ من عقله مجّة»^(٣).

وأخيراً الفقر الذي هو «مدهشة للعقل»^(٤).

٢ - الأنبياء والرسل:

الحجة الثانية التي جعلها الله تعالى للعباد، الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم وطهرهم وجعلهم الأئمة على وحيه وتبليغ رسالاته، يقول أمير المؤمنين ﷺ في سبب إرسال الرسل: «واصطفى الله من ولده [أي ولد آدم ﷺ] أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بذل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٤٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٣٨.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣١٠.

الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدره: من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييمهم، وأجال تفيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم.

ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة؛ رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم، من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله. على ذلك نُسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الأبناء، وخلفت الأبناء»^(١).

وقال عليه السلام: «ولم يخلهم بعد أن قبضه [أي آدم عليه السلام] مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدتهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه، وتمعلي ودائع رسالته، قرناً فقرناً»^(٢).

وقال عليه السلام: «بعث رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق»^(٣).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٤.

وقال عليه السلام: «هو الذي أسكن الدنيا خلقه، وبعث الى الجن والانس رسله، ليكشفوا لهم عن غطائهم، وليحذروهم من ضررائها، وليضربوا لهم أمثالها، وليبصروهم عيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصابحها وأسقامها، وحلالها وحرامها، وما أعد الله سبحانه للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار، وكرامة وهوان»^(١).

رسول الله صلّى الله عليه وآله:

هكذا استمر الأمر إلى أن انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إلى أن بعث الله سبحانه محمداً صلّى الله عليه وآله لانجاز عدته، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء متشعبة، وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقهم، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة»^(٢).

وقال عليه السلام: «أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحة للشبهات، واحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً للمثلاث»^(٣).
وقال عليه السلام: «وعمر فيكم نبيه أزماناً حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢.

كتابه دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه، ونوايه وأوامره، فألقى إليكم المعذرة، واتخذ عليكم الحجة، وقدم إليكم بالوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد^(١).

الثقلان:

إن رسول الله ﷺ كان يعلم بأن دينه آخر الأديان السماوية، وأنه خاتم الأنبياء، وإن الدنيا ستستمر إلى يوم القيامة من غير دين جديد، وعليه مست الحاجة إلى أن يخلف في الأمة ما يرشدها إلى صراطها المستقيم عند الاعوجاج وغلبة الأهواء، سيما وأنها الأمة الوسطى التي ستكون شاهدة على سائر الأمم، مما يؤكد لزوم وجود مرجع ترجع الأمة إليه مضافاً إلى أن الله تعالى لم يعط العصمة من الانحراف لأي أمة من الأمم، لذا مست الحاجة إلى أن يترك ﷺ لنا ميزاناً نزن به أنفسنا، وهذا ما يتبلور في حديث الثقلين المتواتر بمختلف ألفاظه حيث قال ﷺ: «أني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي».

وبهذا الصدد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه، ورضي له ما عنده، فأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقارنة البلوى، فقبضه إليه كريماً، وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم قائم»^(٢).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥ .

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١ .

ألف - القرآن:

قال أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى الثقل الأول وهو القرآن الكريم: «كتاب ربكم مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصته وعامته، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسراً جملة، ومبيناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاق علمه، وموسّع على العباد في جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السنة نسخته، وواجب في السنة أخذه مرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه من كبير أوعده عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه وموسّع في أقصاه»^(١).

وقال عليه السلام: «إنّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلّا به»^(٢).

وقال عليه السلام: «واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال، فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بوجه، ولا تسألوا به خلقه، أنّه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنّه شافع مشفع، وقائل مصدق، وائه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه، ومن محل به القرآن يوم

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨.

القيامة صدق عليه... وإن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن،
فإنه جبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما
للقلب جلاء غيره»^(١).

ب - العترة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى الثقل الثاني أي العترة: «هم
موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه،
وجبال دينه، بهم أقام المحنّاء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه»^(٢).

وقال عليه السلام: «بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنّمتم العلياء، وبنا
انفجرتم عن السرار»^(٣) «^(٤).

وقال عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا
أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فان لبدوا
فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم
فتهلكوا»^(٥).

وقال عليه السلام: «ألا إن مثل آل محمد صلّى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء، إذا
خوى نجم طلع نجم»^(٦).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢.

٣- انفجرتم: دخلتم في الفجر، والسرار: آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر.

٤- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٦.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٩.

وقال عليه السلام: «بنا يُستعطي الهدى، وبنا يستجلى العمى، انّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم»^(١).

وقال عليه السلام: «انما الأئمة قوأم الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة آلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار آلا من أنكرهم وأنكروه»^(٢).

وقال عليه السلام: «نحن الثمرة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي»^(٣).

وقال عليه السلام عن نفسه الشريفة وهو سيد العترة: «انما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها»^(٤).

وأخيراً قال عليه السلام: «فأنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربّه عزوجل، وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه»^(٥).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٢.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٠٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٧.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٩٠.

الإنسان والعبودية

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وقال تعالى لرسوله الكريم: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٢).

فالعبودية من أركان الخلق الأساسية، والدعوة إليها من أهم وظائف الرسل والأنبياء، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واصطفى سبحانه من ولده [أي آدم عليه السلام] أنبياء... لما بذل أكثر خلقه عهد الله إليهم... واجتالهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته»^(٣).
مضافاً إلى أنّ الإنسان يجرز بالعبودية رضى الله تعالى ورضوانه، كما قال عليه السلام: «فأما أهل الطاعة فأثابهم بجواره، وخلد لهم في داره، حيث لا يظعن النزال، ولا تتغير بهم الحال، ولا تنوبهم الأفزاع، ولا تنالهم الأسقام، ولا تعرض لهم الأخطار، ولا تشخصهم الأسفار»^(٤).

١- الذاريات: ٥٦.

٢- الحجر: ٩٩.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٨.

وقال عليه السلام: «لا يُخدع الله عن جتته، ولا تُنال مرضاته إلا بطاعته»^(١).

وهي أيضاً استتمام نعم الله تعالى، كما قال عليه السلام: «واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه»^(٢).

وهي الأمان من فزع يوم القيامة، كما قال عليه السلام: «فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دنائركم، ودخياً دون شعاركم، ولطيفاً بين أضلاعكم، وأميراً فوق أموركم، ومنهلاً لحين وردكم، وشفيعاً لدرك طلبتكم، وجنة ليوم فزعكم، ومصايح لبطن قبوركم، وسكناً لطول وحشتكم، ونفساً لكرب مواطنكم، فإن طاعة الله حرز من متالف مكنته، ومخاوف متوقّعه، وأوار نيران موقدة»^(٣)، وهي تفضل كل شيء كما قال عليه السلام: «وأطع الله في جمل أمورك، فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها»^(٤).

وأخيراً أنها دليل صدق الولاية، كما قال عليه السلام: «إنّ وليّ محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإنّ عدوّ محمد من عصى الله وإن قربت لحمته»^(٥).

ويمكن تلخيص معالم العبودية فيما يلي:

-
- ١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٩.
 - ٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٣.
 - ٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٨.
 - ٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.
 - ٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٩٠.

١- العمل الصالح:

انّ من أهم صفات الإنسان المؤمن الاهتمام بالعمل، وعدم تضييع الفرصة، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «استقربوا الأجل فبادروا العمل»^(١) وقال عليه السلام أيضاً في خطبة المتقين: «يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل»^(٢) وذلك لعلمهم بأنّه «لن يفوز بالخير إلّا عامله، ولا يجزى جزاء الشر إلّا فاعله»^(٣).

ولابدّ للمؤمن أن يراعي في مقام العمل عدّة أمور:

أولاً: المبادرة وعدم اضاءة الفرصة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم»^(٤).

وذلك لأنّ الانسان لا يدري متى يوفق مرّة ثانية للعمل، فقد يحول بينه وبين العمل إما الموت أو المرض أو الغفلة أو الشيخوخة وحلول الضعف، لذا قال عليه السلام: «وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً، أو مرضاً حابساً، أو موتاً خالساً»^(٥).

وقال عليه السلام: «فليعمل العامل منكم في أيّام مهله قبل إرهاق أجله، وفي فراغه قبل أوان شغله، وفي متنفسه قبل أن يؤخذ بكظمه، وليمهّد

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٣.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

لنفسه وقدمه، ولتزوّد من دار ظعنه لدار اقامته»^(١).

وقال عليه السلام: «فاعملوا وأنتم في نفس البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة، والمدبر يُدعى، والمسيء يُرجى، قبل أن يخدم العمل، وينقطع المهل، وتنقضي المدة، وتسدّ أبواب التوبة، وتصعد الملائكة»^(٢).
فالمؤمن سباق إلى العمل الصالح، فتراه إما ساكت فكور، وإما ناطق نصوح، وإما دائب في الخيرات إذ أنّه يعلم «أنّ الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة ألّا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة»^(٣).

وثانياً: التدبر في العمل قبل الإقدام عليه، قال أمير المؤمنين عليه السلام:
«والناظر بالقلب، العامل بالبصر، يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعماله عليه أم له؟! فان كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنده، فإنّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح ألّا بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع»^(٤).

وثالثاً: الاحساس بالتقصير، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إن زكّي أحد منهم خاف ممّا

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥ .

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٨ .

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٩ .

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٤ .

يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم منّي بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلي أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون... يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل»^(١).

ورابعاً: مطابقة السرّ والعلن، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «احذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين، واحذر كل عمل يُعمل به في السرّ ويُستحي منه في العلانية، واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكروه واعتذر منه»^(٢).

وكتب عليه السلام إلى بعض عمّاله: «وأمره ألا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ، ومن لم يختلف سرّه وعلانيته وفعله ومقالته، فقد أدّى الأمانة، وأخلص العبادة»^(٣).

وخامساً: مداراة النفس، وذلك أنّ مجاهدة النفس - سعة وضيقاً - يتبع مدى معرفة الانسان، فكّلما كانت المعرفة أوسع كان الجهاد للنفس أشد، كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام مع نفسه الشريفة حيث قال: «وايم الله يمينا أستثني فيها بمشيئة الله عزوجل، لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مادوماً، ولأدعنّ مقلتي كعين ماءٍ نُضِبَ معينها، مستفرغة دموعها»^(٤).

أما نحن ما دام لم نصل إلى تلك المرتبة، فعلينا أن نخادع النفس

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٦.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

ونأخذها شيئاً فشيئاً دون أن نقهرها رأساً وفي بداية الأمر، وهذا ما أكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «وخادع نفسك في العبادة، وارفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها، ألا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة، فإنه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها»^(١).

وقال عليه السلام: «إنَّ للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً، فاتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فإنَّ القلب إذا أكره عمي»^(٢).

وسادساً: الاخلاص ونبذ الرياء، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعملوا في غير رياء ولا سمعة، فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له»^(٣) وكتب عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «وأخلص في المسألة لربك، فإنَّ بيده العطاء والحرمان»^(٤).

وكان في عهده عليه السلام للأشتر: «وليكن في خاصة ما تخلص الله به دينك: اقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفَّ ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ»^(٥).

ولأهمية هذا الأمر ومحوريته كان عليه السلام يدعو الله تعالى قائلاً:
«اللهم اني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي، وتقبح فيما

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٩.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٨٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

أبطن لك سريرتي، محافظاً على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه مني، فأبدي للناس حسن ظاهري، وافضي اليك بسوء عملي، تقرباً إلى عبادك، وتباعداً من مرضاتك»^(١).

وسابغاً: النية الصالحة عند الحرمان من العمل، وذلك لأن المتقي ربما لا يُوفَّق لأداء بعض الأعمال لظروف تحيط به إما زمنية أو اجتماعية أو لتداخل الأعمال وما شاكل، فهنا يأتي دور النية الصالحة لتقوم مقام العمل، وليفوز المتقي بثواب ما حُرِّم من أدائه، قال عليه السلام: «إنَّ الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة»^(٢) وقد قال له بعض أصحابه: وددت إنَّ أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال عليه السلام: «أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم، قال: فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال، وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الايمان»^(٣).

وقال عليه السلام: «من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربّه عزوجل، وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه»^(٤).

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٦٧.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

وكتب عليه السلام في عهده للأشتر: «واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية، وسلمت منها الرعية»^(١).
وقال عليه السلام أيضاً: «إنّ العطية على قدر النية»^(٢).
وكان عليه السلام يدعو لنفسه ولغيره ويقول: «جعلنا الله واياكم ممن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته»^(٣).
وقال عليه السلام: «وبما في الصدور تجازى العباد»^(٤).

٢- التقوى:

قال تعالى في محكم كتابه: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ»^(٥).
إنّ التقوى من الحقوق المتبادلة بين العبد وربّه، كما قال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فأنها حقّ الله عليكم، والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله، فإنّ التقوى في اليوم الحرز والجنة، وفي غد الطريق إلى الجنة، مسلكها واضح، وسالكها رابح، ومستودعها حافظ، لم تبحر عارضة نفسها على الأمم الماضين

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٥.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٤.

٥- النساء: ١٣١.

والغابرين لحاجتهم إليها غداً، إذا أعاد الله ما أبدى، وأخذ ما أعطى، وسأل عما أسدى، فما أقل من قبلها وحملها حق حملها، اولئك الأقلون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١)، فأهبطوا بأسماعكم إليها، وأكظوا بجدكم عليها، واعتاضوها من كل سلف خلفاً، وكل مخالف موافقاً^(٢).

مضافاً إلى أنها أفضل دواء للأمراض الباطنية، كما قال عليه السلام: «إن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفتدتكُم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضيء سواد ظلمتكم»^(٣).

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول في تبين كيفية التقوى: «فاتقوا الله تقية من سمع فخشع، واقترب فاعترف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن، وعبر فاعتبر، وحذر فزدجر، وأجاب فأجاب، وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى، وأرى فرأى، فأسرع طالباً، ونجا هارباً، فأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وعمّر معاداً، واستظهر زاداً ليوم رحيله ووجه سبيله، وحال حاجته، وموطن فاقتته، وقدم أمامه لدار مقامه. فاتقوا عباد الله جهة ما خلقكم له، واحذروا كنه ما حذركم من نفسه، واستحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده، والحذر من هول معاده... فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكير قلبه، وأنصب الخوف

١- سبأ: ١٣.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٨.

بدنه، وأسهر التهجد غرار نومه، وأظماً الرجاء هواجر يومه، وظلف^(١) الزهد شهواته، وأوجف الذكر بلسانه، وقدم الخوف لأمانه، وتنكب المخالغ عن وضح السبيل، وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الأمور، ظافراً بفرحة البشري، وراحة النعمى، في أنعم نومه وآمن يومه، قد عبر معبر العاجلة حميداً، وقدم زاد الأجلة سعيداً، وبادر من وجل، وأكمش في مهل، ورغب في طلب، وذهب عن هرب، وراقب في يومه غده، ونظر قدماً أمامه^(٢).

وقال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله... أيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم، وارحضوا بها ذنوبكم، وداووا بها الأسقام، وبادروا بها الحمام، واعتبروا بمن أضاعها، ولا يعتبرن بكم من أطاعها، ألا وصونوها وتصونوا بها^(٣).

وقال عليه السلام: «اتقوا الله تقيه من شمر تجريداً، وجد تشميراً، وكمش في مهل، وبادر عن وجل، ونظر في كرة الموثل، وعاقبة المصدر، ومغبة المرجع^(٤).

ثم ان للتقوى نتائج يحوزها المتقي في سلوكه، وردت الإشارة إلى أهمها في نهج البلاغة، نشير إليها فيما يلي:

١- ظلف: منع.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩١.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٠٠.

١ - النجاة في الدنيا والآخرة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يهلك على التقوى سنخ أصل»^(١)
وقال عليه السلام: «لو أنّ السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى
الله، لجعل الله له منهما مخرجاً»^(٢) وقال عليه السلام: «فمن أشعر التقوى قلبه
برز مهله، وفاز عمله»^(٣).

وقال عليه السلام: «من أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها،
واحلّولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها،
وأسهلت له الصعاب بعد انصبابها، وهطلت عليه الكرامة بعد
قحوطها، وتحذّبت عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجّرت عليه النعم بعد
نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها»^(٤).

وقال عليه السلام لعثمان بن حنيف: «وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى
لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق... فاتق الله يا بن
حنيف، ولتكفف أقراصك، ليكون من النار خلاصك»^(٥).

وقال عليه السلام: «إنّ التقوى عصمة لك في حياتك، وزلفى لك بعد
مماتك»^(٦).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٨.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

٦- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٦٠١١.

٢- الفوز بالجنة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإن تقوى الله مطايا ذلّل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنة»^(١).

وقال عليه السلام: «واعلموا أنّه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم، ويخلّده فيما اشتهدت نفسه، وينزله منزل الكرامة عنده، في دار اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشه، ونورها بهجته، وزوارها ملائكته، ورفقاؤها رسله»^(٢).

وقال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنّها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله، فإنّ التقوى في اليوم الحرز والجنة وفي غد الطريق إلى الجنة»^(٣).

وقال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنّها الزمام والقوام، فتمسكوا بوثائقها، واعتصموا بمحافظتها، تؤلّ بكم إلى أكنان الدعة، وأوطان السعة، ومعاقل الحرز، ومنازل العزّ في يوم تشخص فيه الأبصار، وتظلم له الأقطار، وتُعطل فيه صرّوم العشار»^(٤).

٣- البعد عن الشبهات:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٥.

من المثالات، حجزه التقوى عن تقحّم الشبهات»^(١).

٤- الحثّ على العمل:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عباد الله إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب، والريّ بالظّمأ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا الأمل فلاحظوا الأجل»^(٢).

وقال عليه السلام: «بالتقوى تزكو الأعمال»^(٣).

٥- البُعد عن الذنوب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعلموا عباد الله إنّ التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يُحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تُقطع حمة الخطايا»^(٤).

وقال عليه السلام: «إنّ من فارق التقوى أُغري باللذات والشهوات، ووقع في تيه السيئات، ولزمه كبير التبعات»^(٥).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٣- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٦٠١٩.

٤- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٧.

٥- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٦٠١٤.

٦- التغلب على الشيطان:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أشعر قلبك التقوى، وخالف الهوى، تغلب الشيطان»^(١).

موانع التقوى:

- وأخيراً يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض موانع التقوى، وهي كما يلي:
- ١- الخصومة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم»^(٢).
 - ٢- عدم حفظ اللسان: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يحتزن لسانه»^(٣).
 - ٣- حب الدنيا: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حرام على كل قلب متولّه بالدنيا أن يسكنه التقوى»^(٤).
 - ٤- متابعة الشهوات: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يفسد التقوى إلّا غلبة الشهوة»^(٥).
 - ٥- الطمع: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سبب فساد الورع الطمع»^(٦).

١- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٦٠٠٩.

٢- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٨٩.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٤- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٢٥٢١.

٥- المصدر نفسه: ٦٠٠٣.

٦- المصدر نفسه: ٦٧٠٦.

٣- أداء الفرائض:

قال عليه السلام: «الفرائض الفرائض، أدوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنة»^(١) وكتب عليه السلام في عهده للأشتر: «أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها واضاعتها»^(٢).

والله تعالى قد أتم الحجة علينا، وبين لنا الفرائض بحيث لم يُبق لأحد عذراً، قال عليه السلام: «واتخذ عليكم الحجة، وبين لكم محابه من الأعمال، ومكارهه منها، لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه»^(٣) وبأدائها سيكون أمير المؤمنين عليه السلام هو الشاهد لنا يوم القيامة والمدافع عنا، كما قال عليه السلام: «واخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقه، وبين لكم من وظائفه، أنا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم»^(٤).

وكان عليه السلام يقول أيضاً: «إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها»^(٥).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٧.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٠٠.

٤- الذكر:

ومن مصاديق العبودية الذكر، إذ هو علامة لحب الله تعالى عبده قال عليه السلام: «إذا رأيت الله سبحانه يؤنسك بذكره فقد أحبك»^(١) كما أنه يوجب الفرح والسرور للذاكر، قال عليه السلام: «ذكر الله مسرة كل متق ولذة كل موقن»^(٢).

ولأهل الذكر علامات، قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: «وانّ للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواج عن محارم الله في أسمع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه، فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه، وحققت القيامة عليهم عداتها، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون»^(٣).

وقال عليه السلام في صفات أولياء الله تعالى: «إن أوحشتهم الغربية أنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علماً بأنّ أزمة الامور بيدك، ومصادرها عن قضائك»^(٤) وهذا على عكس المغترّ

١- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٣٦١١.

٢- المصدر نفسه: ٣٦٥٣.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٦.

بالدنيا حيث آتته «يتعلل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به، ضناً بغضارة عيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه»^(١).

٥- ترك الذنوب والخطايا:

ومن مصاديق العبودية أيضاً ترك الذنوب والخطايا وما يبغضه الله تعالى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإنّ الخطايا خيل شمس حُمل عليها أهلها، وخلعت لُجمها، فتقحمت بهم في النار»^(٢). وكان يجدر أصحابه ويقول: «احذروا الذنوب المورطة، والعيوب المسخطة»^(٣).

ومن جملة الذنوب الاستخفاف بها، قال عليه السلام: «أشدّ الذنوب ما استخف به صاحبه»^(٤).

ومنها الكبر والحسد، قال عليه السلام: «الحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحّم في الذنوب، والشرّ جامع مساوي العيوب»^(٥).

وقال عليه السلام: «ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمّه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ریح الكبر

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٦٥.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٠.

الذي أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة... استعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر، فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه ولكنه سبحانه كره إليهم التكابر ورضي لهم التواضع»^(١).

ومنها الرياء، قال عليه السلام: «واعلموا أن يسير الرياء شرك»^(٢). وكان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي، وتبجح فيما أبطن لك سريرتي، محافظاً على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه مني، فأبدي للناس حسن ظاهري، وأفضي إليك بسوء عملي، تقرباً إلى عبادك، وتباعداً من مرضاتك»^(٣).

ومنها العجب، قال عليه السلام: «واعلم أن الاعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب»^(٤) وقال عليه السلام: «واياك والاعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين»^(٥).

وقال عليه السلام: «سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك»^(٦). وليس هذا إلا لسوء حالة العجب. وقال عليه السلام: «الاعجاب يمنع من الازدياد»^(٧).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٥.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٦٧.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١.

٧- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٥٧.

ومنها الخيانة في الأمانة، قال عليه السلام: «ومن استهان بالأمانة، ورتع في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه عنها، فقد أحلّ بنفسه في الدنيا الخزي، وهو في الآخرة أذلّ وأخزى»^(١).

ومنها البغي والعدوان، قال عليه السلام في كتابه لمعاوية: «إنّ البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه، ويبديان خلله عند من يعيبه»^(٢) وقال عليه السلام: «لو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف، لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه»^(٣).

ومنها البخل، قال عليه السلام: «البخل جامع لمساوىء العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء»^(٤).

ومنها الحسد، قال عليه السلام: «ولا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٥).

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٦.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٨.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥١.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٨.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٥.

الإنسان والدنيا

١ - الدنيا فنظرة:

الدنيا ليست هي الهدف، ولا هي الغاية والمنتهى، وإنما هي فنظرة يعبر عليها الإنسان ليصل إلى داره ومقره الأساسي، قال أمير المؤمنين عليه السلام تأكيداً لهذا الأمر: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»^(١). وهي أيضاً: «دار ممر إلى دار مقر»^(٢) وكما أوصى ابنه الحسن عليه السلام: «وأنك في منزل قلعة، ودار بلغة، وطريق إلى الآخرة»^(٣). وقد أتينا إلى الدنيا لنتخبر فيها ونبتلى بها، قال عليه السلام: «إن الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خلقتنا، ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنما وُضعنا فيها لنتبلى بها»^(٤). لذا يجب على الإنسان التزوّد من هذه الدار، إذ فيها الماء والكلاء، وبها تحرز الآخرة، قال عليه السلام: «ولئيمهد لنفسه وقدمه، وليتزوّد من دار

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٥١.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٢٦.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

ظعنه لدار اقامته»^(١).

وقال عليه السلام: «انّ الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازاً لتزودوا منها الأعمال إلى دار القرار»^(٢).

وأخيراً قال عليه السلام: «ألا وإنّ هذه الدنيا التي أصبحتتم تتمنونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له، ولا الذي دعيتم إليه، ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها، وهي وإن غرتكم منها فقد حذرتكم شرّها، فدعوا غرورها لتحذيرها، وأطاعها لتخويفها، وسابقوا فيها إلى الدار التي دعيتم إليها، وانصرفوا بقلوبكم عنها، ولا يخنن أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها، واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه، ألا وإنه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم، ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم»^(٣).

٢- إتمام الحجّة في الدنيا:

انّ الله تعالى لم يترك الإنسان في الدنيا من دون حجة ترشده وتسير له الدرب - كما مضى - وعليه يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد بُصِّرتم إن أبصرتهم، واسمعتهم إن سمعتم، وهديتهم إن اهتديتم»^(٤).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥ .

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٢ .

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٣ .

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠ .

وقال ﷺ: «إنَّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدىً، ولم يدعكم في جهالة وعمى، وقد سمى آثاركم، وعلم أعمالكم، وكتب آجالكم، وأنزل عليكم الكتاب تبياناً، وعمّر فيكم نبيه أزماناً، حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه، ونواهيه وأوامره، فألقى إليكم المعذرة، واتخذ عليكم الحجة، وقدم إليكم الوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد»^(١).

وقال ﷺ: «فإنه لم يخف عليكم شيئاً من دينه، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلّا وجعل له علماً بادياً، وآية محكمة، تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاها فيما بقي واحد، وسخطه فيما بقي واحد»^(٢).

٣- الابتلاء في الدنيا:

إنَّ الدنيا وضعت للابتلاء، كما قال أمير المؤمنين ﷺ في قصة هبوط نبي الله آدم ﷺ: «فأهبطه إلى دار البلية»^(٣) وكتب ﷺ إلى معاوية: «ولسنا للدنيا خلّقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنما وضعنا فيها لنبتلى بها»^(٤)، وفي كتاب آخر لبعض أصحابه ﷺ: «واعلم إنَّ الدنيا دار بلية»^(٥).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٩.

ولتأييد هذا المبدأ يستشهد أمير المؤمنين عليه السلام بالقرآن ويقول: «أيها الناس إن الله قد أعادكم من أن يجور عليكم، ولم يعذكم من أن يتليكم، وقد قال جلّ من قائل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾»^(١)»^(٢).

ثم بيّن أمير المؤمنين عليه السلام سبب الابتلاء، ويشير إلى عدّة عوامل: منها التمحيص والاختبار، فقد قال عليه السلام: «أما بعد فإنّ الله سبحانه... لم يجبر عظم أحد من الأمم إلّا بعد أزل وبلاء»^(٣)، وقال عليه السلام: «وانّما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً»^(٤)، وقال عليه السلام: «ولكن الله سبحانه يتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزاً بالاختبار لهم...»^(٥)، وكتب عليه السلام لمعاوية: «أما بعد فإنّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملاً»^(٦).

ومنها استحقاق الثواب والعقاب، قال عليه السلام: «ألا إنّ الله قد كشف الخلق كشفة، لا أنّه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم، ومكنون ضمائرهم، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، فيكون الثواب جزاء،

١- المؤمنون: ٣٠.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٧.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

٦- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

والعقاب بواء»^(١).

وقال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ الْكُفْرُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»^(٢): «ومعنى ذلك أنه سبحانه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يُستحق الثواب والعقاب»^(٣).

وقال عليه السلام: «كلما كانت البلوى والاختبار أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل».

ثم يذكر عليه السلام شواهد لهذا ويستشهد بالأنبياء حيث «اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة... ولو أراد سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طير السماء، ووحوش الأرض لفعّل، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء، واطمحلّ الأنبياء، ولما وجب للقابلين اجور المبتلين».

ثم يستشهد عليه السلام بالحج حيث إنّ الله تعالى اختبر الأولين والآخرين ببيته الحرام، وجعله في أوعر البقاع وأخشنها، وأمرهم بالرحيل إليه والطواف حوله: «ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام، ومشاعره العظام بين جنات وأنهار، وسهل وقرار، جم الأشجار، داني الثمار، ملتف البنى، متصل القرى، بين بُرّة سمراء، وروضة خضراء، وأرياف محدقة، وعراض مغدقة، وزروع ناضرة، وطرق عامرة، لكان قد

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٤.

٢- الأنفال: ٢٨.

٣- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨٨.

صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء»^(١).

ومنها اخراج التكبر من النفوس، قال عليه السلام: «ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله... نفيًا للاستكبار عنهم، وابعاداً للخيلاء منهم»^(٢).

وقال عليه السلام: «ولكن الله سبحانه يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بالوان المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله، وأسباباً دلاً لعفوه»^(٣).

ثم يشير عليه السلام إلى أنواع ابتلاءات الإنسان في الدنيا، منها الابتلاء بالفقر والغنى حيث يقول: «أما بعد، فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان، فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة»^(٤) في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنة»^(٥).

وقال عليه السلام: «وقدر الأرزاق فكثرتها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها»^(٦).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

٤- الغفيرة: السعة.

٥- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٣.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٠.

وقال عليه السلام: «أيها الناس ليركم الله من النعمة وجلين، كما يراكم من النعمة فرقين، أنه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً»^(١).

ومنها الابتلاء بسوء الزمان، قال عليه السلام: «أيها الناس أنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يُعدّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتواً، لا نتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نتخوف قارعة حتى تحلّ بنا»^(٢)، وقال عليه السلام: «ولقد نزلت بكم البلية جائلاً خطامها، رخواً بطانها»^(٣)، فشبه عليه السلام شدة بلائهم بالخطام الذي يوضع في أنف البعير لينقاد به، لكنّه في جولان وعدم استقرار، وكذا شبه أيضاً حالهم ببطان البعير الذي يُجعل تحت بطنه، ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط.

ومنها الابتلاء بالجهل، قال عليه السلام في بعثة النبي صلى الله عليه وآله: «بعثه والناس ضلّال في حيرة... حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل»^(٤).
ومنها الرجوع إلى الله تعالى والتوبة من الذنوب، قال عليه السلام: «إنّ الله تعالى يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، واغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويُقلع مقلع، ويتذكّر

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٤٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٤.

متذكّر، ويزدجر مزدجر»^(١).

ثم إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يذكر لنا بعض فوائد البلاء ويقول: «ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة»^(٢).

ثم يعلمنا عليه السلام أن نواجه البلاء بالصبر والشكر ويقول: «وإن ابتليتم فاصبروا فإنّ العاقبة للمتقين»^(٣)، ويقول عليه السلام: «واصبروا على البلاء»^(٤)، ويقول عليه السلام: «نحمده على ما أخذ وأعطي، وعلى ما أبلى وابتلى»^(٥)، ويقول عليه السلام: «أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدّر من فعل وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب...»^(٦).

وأخيراً يبشّرنا عليه السلام بالخلاص من البلاء عند غاية شدته ويقول: «عند تنامي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء»^(٧).

٤- الاعتبار من الدنيا:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وخلف لكم عبراً من آثار الماضين

-
- ١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٣.
 - ٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.
 - ٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٧.
 - ٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.
 - ٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٢.
 - ٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٠.
 - ٧- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٤١.

قبلكم، من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم، أرهقتهم المنايا دون الآمال، وشذبهم عنها تخرم الآجال، لم يمهّدوا في سلامة الأبدان، ولم يعتبروا في أنف الأوان... عباد الله أين الذين عمّروا فنعموا، وعلموا ففهموا، وأنظروا فلهوا، وسلموا فنسوا، أمهلوا طويلاً، ومُنحوا جميلاً، وحذّروا أليماً، ووعدوا جسيماً»^(١).

وقال عليه السلام: «فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع، واعتبروا بالآي السواطع، وازدجروا بالنذر البوالغ، وانتفعوا بالذكر والمواعظ، فكأن قد علقتمك مغالب المنية، وانقطعت منكم علائق الامنية، ودهمتكم مفضعات الامور، والسياسة إلى الورد المورود»^(٢).

وقال عليه السلام: «فاعتبروا عباد الله، واذكروا تيك التي أبأؤكم بها مرتهنون، وعليها محاسبون، ولعمري ما تقدمت بكم ولا بهم العهد، ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون، وما أنتم اليوم من يوم كتتم في أصلابهم ببعيد»^(٣).

وقال عليه السلام: «أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر، وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر، إن كتتم تعقلون، أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقي لا يبقون، أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى: فميت يُبكي، وآخر يُعزّي، وصريع مبتلى، وعائد يعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٨.

وغافل وليس بمغفول عنه»^(١).

وقال عليه السلام: «رحم الله امرأ تفكر فاعتبر، واعتبر فأبصر، فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكان ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل، وكل معدود منقوض، وكل متوقع آت، وكل آت قريب دان»^(٢).

وقال عليه السلام: «ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدّ عديداً، وأكثر جنوداً، تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد، وآثروها أيّ ايثار، ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ، ولا ظهر قاطع، فهل بلغكم أنّ الدنيا سخت لهم نفساً بفدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالفواحش، وأوهنتهم بالقوارع، وضععتهم بالنوائب، وعقرتهم للمناخر، ووطئتهم بالمناسم، وأعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتهم تنكّرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد، هل زودتهم إلّا السغب، أو أحلّتهم إلّا الضنك، أو نورّت لهم إلّا الظلمة، أو أعقبتهم إلّا الندامة، أفهذه تؤثرن أم عليها تطمئنون، أم عليها تحرصون، فبئست الدار لمن لم يتهمها، ولم يكن فيها على وجل منها»^(٣).

ومن كلام له عليه السلام قبل موته: «وستعقبون منّي جثة خلاء، ساكنة بعد حراك، وصامته بعد نطق، ليعظكم هدويّ، وخفوت إطراقي،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٠.

وسكون أطرافي، فأنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع»^(١).

وقال عليه السلام: «فليتتفع امرؤ بنفسه، فأنما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثم سلك جديداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي، والضلال في المغاوي»^(٢).

وقال عليه السلام: «إنّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة، أين الفراعنة وأبناء الفراعنة، أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، وأطفأوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبارين، أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الالوف، وعسكروا العساكر، ومدنوا المدائن؟!»^(٣).

وقال عليه السلام: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليلس، إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يُدرى أمن سنيّ الدنيا أم سنيّ الآخرة، عن كبر ساعة واحدة، فمن بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته، كلّ ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، إنّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في اباحة حمى حرّمه على العالمين»^(٤).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

وقال عليه السلام: «واعتر بما مضى من الدنيا ما بقي منها، فإن بعضها يشبه بعضاً، وآخرها لاحق بأولها، وكلها حائل مفارق»^(١).

وقال عليه السلام: «معاشر الناس اتقوا الله، فكم من مؤمل ما لا يبلغه، وبان ما لا يسكنه، وجامع ما سوف يتركه، ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه، أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباء بوزره وقدم على ربه أسفاً لاهفاً، قد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران الميين»^(٢).

وختاماً يجمع هذا كله قوله عليه السلام: «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار»^(٣).

والخلاصة أنّ أوجه الاعتبار كثيرة، منها الاعتبار بأحوال الماضين، وما كانوا عليه وما صاروا إليه، ومنها أحوال الموتى، ومنها تقلبات الدنيا وعدم بقائها على وتيرة واحدة، وكذلك سرعة انقضائها، ومنها أحوال ابليس وما آل أمره إليه، وأنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه هوادة، وإنّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض واحد.

٥- الاغترار بالدنيا:

من الأمور التي حذر منها أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً، هو الاغترار بالدنيا، وهذا ما دأب عليه دوماً وأكثر منه بأدنى حجة وفي أكثر مناسبة، فبين غدر الدنيا وفناءها وسرعة انقضائها وغيرها من الصفات المذمومة،

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٩.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٣٤.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٨٨.

ونبه على عدم الاغترار بها قائلاً: «أيها الناس، انّ الدنيا تغرّ المؤمن لها والمخلد اليها، ولا تنفس بمن نافس فيها، وتغلب من غلب عليها»^(١).
وقال عليه السلام في وصف أبناء الدنيا: «أنسوا بالدنيا فغرّتهم، ووثقوا بها فصرعتهم»^(٢).

وقال عليه السلام: «ولا تغرّكم الدنيا كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية، والقرون الخالية، الذين احتلبوا درتها، وأصابوا غرتها، وأفنوا عدتها، وأخلقوا جدّتها»^(٣).

وقال عليه السلام مخاطباً الدنيا: «أين القرون الذين غررتهم بمداعبك، أين الامم الذين فتنتهم بزخارفك، هاهم رهائن القبور، ومضامين اللحد، والله لو كنت شخصاً مرثياً وقالياً حسيماً، لأقتت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانى، وامم أقيتهم في المهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف، وأوردتهم موارد البلاء»^(٤).

ومن نتائج الاغترار بالدنيا امور:

ألف: نسيان الله تعالى، قال عليه السلام: «من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها من قلبه، آثرها على الله، فانقطع اليها وصار عبداً لها»^(٥).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

ب: ترك الهدى والبينات، قال عليه السلام في وصف أهل البغي الذين حاربهم: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾»^(١) بلى والله سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها»^(٢).

ج: التمسك بالدنيا، قال عليه السلام: «ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب، فبنا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه»^(٣).

وقال عليه السلام: «قد غاب عن قلوبكم ذكر الأجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة»^(٤).

د: نسيان الموت، قال عليه السلام وقد تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك: «كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنّ الحق فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذي نرى من الأموات سفرًا عمّا قليل إلينا راجعون،

١- القصص: ٨٣ .

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣ .

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١ .

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢ .

نبوئهم أجدائهم، ونأكل تراثهم، كأنا نخلدون، قد نسينا كل واعظ وواعظة، ورمينا بكل جائحة»^(١).

هـ: الغفلة، قال عليه السلام: «فإنكم لو عايتم ما قد عاين من مات منكم، لجزعتم ووهلتم، وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب»^(٢).

وقال عليه السلام: «ألا وائي لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربيها»^(٣).

وقال عليه السلام: «ولو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه، إذا لخرجتم إلى الصعدات، تبكون على أعمالكم، وتلتمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها، ولهت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها، ولكنكم نسيتم ما ذكركم، وأمنتم ما حذركم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتت عليكم أمركم»^(٤).

وقال عليه السلام: «كم من مستدرج بالاحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله أحداً بمثل الاملاء له»^(٥).

وقال عليه السلام: «يا أسرى الرغبة أقصروا فإن المعرج على الدنيا لا

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١١٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٥.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١١٠.

يروعه منها ألاً صريف أنياب الحدثان»^(١).

وأخيراً ندعو الله تعالى ونقول كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ونحن نستقبل الله عثرة الغفلة»^(٢).

٦- أصناف الناس في الدنيا:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنع الفساد في الأرض ألاً مهانة نفسه، وكلاله حده، ونضيض وفره ومنهم المصلت لسيفه، والمعلن بشره، والمجلب بخيله ورجله، قد أشرط نفسه، وأوبق دينه لحطام يتتهزه، أو مقنّب يقوده، أو منبر يفرعه. ولبس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، ومما لك عند الله عوضاً.

ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية.

ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه، وانقطاع سببه، فقصرته الحال على حاله، فتحلّى باسم القناعة، وتزيّن بلباس أهل الزهادة، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى.

وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادٍ، وخائف مقموع، وساك مكموم، وداع مخلص، وثكلان موجه، قد أخملتهم التقيّة، وشملتهم الدلّة فهم في بحر

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٤٩.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦١.

أجاج، أفواههم ضامزة، وقلوبهم قرحة، قد وعظوا حتى ملّوا، وقهروا حتى ذلّوا، وقتلوا حتى قلّوا»^(١).

وقال عليه السلام: «الناس في الدّنيا عاملان: عامل عمل في الدّنيا للدّنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفني عمره في منفعة غيره. وعامل عمل في الدّنيا لما بعدها، فجاءه الذي له من الدّنيا بغير عمل، فأحرز الحظّين معاً، وملك الدّارين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله، لا يسأل الله حاجةً فيمنعه»^(٢).

وقال عليه السلام لكميل: «الناس ثلاثة: فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعا، أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

يا كميل، العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق، وصنيع المال يزول بزواله.

يا كميل بن زياد، معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الانسان الطاعة في حياته، وجميل الاحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه.

يا كميل بن زياد، هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر: أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.
ها انّ هاهنا لعلماً جمّاً (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملة، بلى

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٢.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٦٠.

أصبحت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدِّين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده، وبمججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ، لا بصيرة له في أحناثه، ينقدح الشك في قلبه لأوّل عارض من شبهة. إلا لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللدّة، سلس القياد للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شيء شبيهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامله. اللهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لثلا تبطل حجج الله وبيّئاته.

وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك - والله - الأقلون عدداً، والأعظمون قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيّئاته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم^(١). وقال عليه السلام: «الناس في الدنيا عاملان: عامل عمل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفني عمره في منفعة غيره.

وعامل عمل في الدنيا لما بعدها، فجاهه الذي له من الدنيا بغير عمل، فأحرز الحظّين معاً، وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجهياً عند

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣٧.

الله، لا يسأل الله حاجةً فيمنعه»^(١).

وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري: «يا جابر، قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا يبخل بمعرفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه؛ فإذا ضيغ العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بمعرفه باع الفقير آخرته بدنياه.

يا جابر، من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم لله فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء»^(٢).

وقال عليه السلام: «الدنيا دار ممر إلى دار مقر، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها»^(٣).

وقال عليه السلام: «لا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات»^(٤).

وقال عليه السلام: «إن أبغض الخلائق إلى الله تعالى رجلان: رجل وكّله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشعوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمّالٌ خطايا غيره، رهنٌ بخطيئته.

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٦٠.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٢.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٢٦.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٨٩.

ورجل قمش جهلاً، موضع في جهال الأمة، غار في أغباش الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به، بكر فاستكثر من جمع، ما قلّ منه خيرٌ ممّا كثر، حتى إذا ارتوى من ماء آجن، وأكثر من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت: لا يدري أصاب أم أخطأ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب.

جاهل خباط جهلات، عاش ركّاب عشوات، لم يعضّ على العلم بضرر س قاطع، يُدري الروايات إذراء الريح الهشيم، لا مليّ - والله - بإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما فوض إليه، لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره، ولا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مذهباً لغيره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعجّ منه المواريث.

إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً، ويموتون ضلّالاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر»^(١).

وقال عليه السلام: «عباد الله، إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه، وإنّ

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧.

أغشهم لنفسه أعصاهم لربه»^(١).

وقال عليه السلام: «عباد الله إن من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، وأعدّ القرى ليومه النازل به، فقرّب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد، نظر فأبصر، وذكر فاستكثر، وارتوى من عذب فرات سهّلت له موارده، فشرب نهلاً، وسلك سبيلاً جديداً.

قد خلع سراويل الشهوات، وتخلّى من الهموم، إلّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى.

قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس، قد نصب نفسه لله - سبحانه - في أرفع الأمور، من إصدار كل وارد عليه، وتصيير كل فرع إلى أصله. مصباح ظلمات، كشاف غشوات، مفتاح مبهمات، دفاع معضلات، دليل فلوات، يقول فيفهم، ويسكت فيسلم.

قد أخلص لله فاستخلصه، فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحقّ ويعمل به، لا يدع للخير غايةً إلّا أمها، ولا مظنةً إلّا قصدها، قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله، وينزل حيث

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.

كان منزله.

وآخر قد تسمى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلّال، ونصب للناس أشراكاً من حبال غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحقّ على أهوائه، يؤمن من العظام، ويهون كبير الجرائم، يقول: أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول: اعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، فذلك ميّت الأحياء»^(١).

وقال عليه السلام: «انّ من أبغض الرجال إلى الله لعبد وكله الله إلى نفسه، جائر عن قصد السبيل، سائر بغير دليل، إن دُعي إلى حرث الدنيا عمل، وإلى حرث الآخرة كسل، كأنّ ما عمل له واجب عليه، وكأنّ ما ونى فيه ساقط عنه»^(٢).

وقال عليه السلام: «انّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه - وإن نقصه وكرهه - من الباطل وإن جرّ إليه فائدة وزاده»^(٣).
وقال عليه السلام: «انّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُديّ وهُدَى، فأقام سنّة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإنّ السنن لنيرة، لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام، وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة وإني سمعت رسول

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٥.

الله ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحي ثم يرتبط في قعرها»^(١).

وقال عليّ: «إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله، فورّثه رجلاً فأنفقه في طاعة الله سبحانه، فدخل به الجنة، ودخل الأوّل به النار»^(٢).

وقال عليّ: «إنّ أخسر الناس صفقة، وأخيبهم سعياً، رجل أخلق بدنه في طلب آماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرتة، وقدم على الآخرة بتبعته»^(٣).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٤.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١٧.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١٨.

الإنسان والبيئة

قال تعالى في محكم كتابه عن لسان نبيه صالح عليه السلام: «هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا»^(١)، فالله تعالى حمّل الإنسان مسؤولية إعمار الأرض والمحافظة عليها، ثم آتاه تعالى سيحاسبنا في حال الإهمال والإفساد فيها بأيّ نحو كان، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اتقوا الله في عباده وبلاده، فأنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»^(٢).

فهنا يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى أنّ الإنسان يتحمل المسؤولية أمام البيئة التي يعيش فيها، وانه سيحاسب غداً في كيفية تعامله معها.

ولذا كتب عليه السلام في عهده لمالك الأشتر يعلمه كيفية تعامله مع البيئة التي يعيش فيها في مسألة أخذ الخراج من الناس ويقول: «وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلّا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلّا قليلاً»^(٣).

١- هود: ٦١.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٧.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

كما أنه ﷺ يهتم حتى في مسألة المكان الذي يتخذه الانسان لسكناه، ويقول: «واسكن الأمصار العظام فاتها جماع المسلمين، واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الأعوان على طاعة الله»^(١).

وأما بالنسبة إلى تحمّل المسؤولية عن البهائم، فأنه ﷺ كان يوصي عمّاله على الصدقات ويقول: «إذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يمصر لبنها فيضّر ذلك بولدها، ولا يجهدّها ركوباً، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفّه على اللاغب، وليستأن بالنقب والظالع، وليوردها ما تمرّ به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق، وليروّحها في الساعات، وليمهلها عند النطاف والأعشاب»^(٢).

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٩.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٥.

الإنسان والشیطان

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾^(٢).

إلى غيرها من الآيات الكثيرة التي تتكلم عن الشيطان، وتحذر الإنسان منه ومن خدعه ومكره وحيله، كما أن كتاب نهج البلاغة أيضاً لم يخل من ذكر الشيطان والتحذير منه، وفيما يلي نشير إلى ما عثرنا عليه من ذكره في كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

١ - العصيان:

يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى بدء الخلقة، وأن الله تعالى لما خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له، فامتثلوا إلا إبليس حيث يقول: «واستأدى الله

١ - يس: ٦٠.

٢ - النساء: ١١٩.

سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم، في الاذعان بالسجود له، والخنوع لتكريمته، فقال عز من قائل: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(١)، وقبيله، اعترتهم الحمية، وغلبت عليهم الشقوة، وتعززوا بخلقة النار، واستوهنوا خلق الصلصال، فأعطاه الله تعالى النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبلية، والمجازاً للعدة، فقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(٢) ^(٣).

وقال عليه السلام أيضاً: «الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله. وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرة القلوب، ومحجوبات الغيوب: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(٤) اعترضته الحمية، فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله.

فعدو الله إمام المتعصين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصية، ونازع الله رداء الجبرية، وادّرع لباس التعزز، وخلع قناع التذلل. ألا ترون كيف صغره الله بتكبره، ووضعه بترفعه، فجعله في

١- الإسراء: ٦١.

٢- الحجر: ٣٧-٣٨.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٤- ص: ٧١ - ٧٤.

الدنيا مدحوراً، وأعدّ له في الآخرة سعيراً!
ولو أراد الله سبحانه أن يخلق آدم من نورٍ يخطف الأبصار ضياؤه،
ويبهر العقول رواؤه، وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل، ولو فعل
لظلّت له الأعناق خاضعةً، ولخفّت البلوى فيه على الملائكة»^(١).

٢- أهداف الشيطان:

يشير عليه السلام إلى جملة من أهداف الشيطان، والتي منها الإغواء
حيث يقول: «واجتالهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن
عبادته»^(٢).

ومنها حاكمية الباطل، كما قال عليه السلام: «ألا وإنّ الشيطان قد ذمّر
حزبه، واستجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى
نصابه»^(٣).

٣- جنود الشيطان:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عُصي الرحمن، ونُصر الشيطان، وخُذل
الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه، ودرست سبله، وعفت
شركه، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢.

أعلامه، وقام لواؤه، في فتن داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون»^(١).

وقال عليه السلام: «اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه»^(٢).

وقال عليه السلام في المنافقين: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل النفاق، فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلونون ألواناً، ويفتنون افتناناً، ويعمدونكم بكل عمادٍ، ويرصدونكم بكل مرصادٍ.

قلوبهم دوية، وصفاحهم نقية، يمشون الخفاء، ويدبون الضراء. وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء، ومؤكدوا البلاء، ومقنطوا الرجاء.

لهم بكل طريق صريع، وإلى كل قلب شفيح، ولكل شجو دموع، يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا الحفوا، وإن عدلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا. قد أعدوا لكل حق باطلاً، ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً، ولكل باب مفتاحاً، ولكل ليل مصباحاً، يتوصلون إلى

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧.

الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلامهم. يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هياوا الطريق، وأضلعوا المضيق، فهم لمة الشيطان، وحة النيران ﴿أولئك حِزْبُ الشَّيْطَانِ الْأَنِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١)»^(٢).

وكتب عليه السلام إلى معاوية: «فألك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم»^(٣)، وكتب عليه السلام إلى زياد بن أبيه في شأن معاوية: «فاحذره فأثما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ليقتحم غفلته، ويستلب غرته»^(٤).

٤- منافذ الشيطان:

من المنافذ التي يدخل منها الشيطان الفتن، قال عليه السلام: «إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجال رجالات، على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خالص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين؛ ولو أنّ الحقّ خالص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين؛ ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا

١- المجادلة: ١٩.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٤.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٠.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٤.

ضغث، فيمزجان! فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى»^(١).

ومنها مجالسة أهل الهوى، قال عليه السلام: «ومجالسة أهل الهوى منسأة للإيمان، ومحضرة للشيطان»^(٢).

ومنها الكبر والحمية والعصية، قال عليه السلام: «فأطفنوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية، وأحقاد الجاهلية، وإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونفثاته... فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية، فانه ملاقح الشنآن، ومنافخ الشيطان... فالله الله في عاجل البغي وأجل وخامة الظلم، وسوء عاقبة الكبر، فانه مصيدة إبليس العظمى، ومكيدته الكبرى التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة، فما تكدي أبدأ، ولا تشوي أحداً، لا عالماً لعلمه ولا مقللاً في طمره»^(٣).

ومنها العجب، قال عليه السلام: «واياك والاعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الاطراء، فان ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من احسان المحسنين»^(٤).

ومنها الجلوس في الأسواق، قال عليه السلام: «واياك ومقاعد الأسواق،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

فإنها محضرة الشيطان، ومعارض الفتنة»^(١).

ومنها الغضب، قال عليه السلام: «واياك والغضب، فإنه طيرة من الشيطان»^(٢)، وقال عليه السلام: «واحذر الغضب فإنه جند عظيم من جند ابليس»^(٣).

٥- سبل الشيطان:

إن للشيطان في الاغواء طرائق مختلفة، منها التزيين والتسويق، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها، ويمتية التوبة ليسوفها، حتى تهجم عليه منيته عليه أغفل ما يكون عنها»^(٤).

ومنها الوسوسة، قال عليه السلام: «وحدركم عدواً نفذ في الصدور خفياً، ونفت في الأذان نجياً، فأضل وأردى، ووعد فمتى، وزين سيئات الجرائم، وهون موبقات العظام»^(٥).

ومنها تسهيل الأمور في نظر الإنسان، قال عليه السلام: «إن الشيطان يسني [أي يسهل] لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة،

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٩.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٦.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة»^(١)، وقال ﷺ بنفس المضمون: «واعلموا أنّ الشيطان أئماً يستي لكم طرقه لتتبعوا عقبه»^(٢).

٦- التخلّص من الشيطان:

من الأمور النافعة في التخلّص عن شرك إبليس وجنوده الاستعانة بالله تعالى والاعتصام به، كما قال أمير المؤمنين ﷺ: «وأستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره، والاعتصام من حبائله ومخاتله»^(٣).
ومنها أيضاً التقوى، قال ﷺ: «واتقوا مدارج الشيطان، ومهابط العدوان»^(٤).

٧- الاعتبار من عاقبة الشيطان:

قال أمير المؤمنين ﷺ: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بابلّيس، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يُدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة، فمن بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته، كلّاً ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، إنّ حكمه في أهل السماء وأهل

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥١.

الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في اباحة حمى
حرّمه على العالمين»^(١).

٨- الحذر من الشيطان:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فاحذروا عدوّ الله أن يعديكم بدائه، وأن
يستفزكم بخيله ورجله. فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد، وأغرق
لكم بالتزع الشديد، ورماكم من مكان قريب، و﴿قَالَ رَبُّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي
لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيئُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، قدفاً بغيب بعيد، ورجماً
بظن غير مصيب، صدقه به أبناء الحميّة، وإخوان العصيّة، وفرسان
الكبر والجاهليّة.

حتى إذا انقادت له الجامعة منكم، واستحكمت الطماعة منه
فيكم، فنجمت الحال من السرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ، استفحل سلطانه
عليكم، ودلف بجنوده نحوكم، فأقحموكم ولجات الدلّ، وأحلّوكم
ورطات القتل، وأوطأوكم إثنان الجراحة، طعنأ في عيونكم، وحرزأ في
حلوقكم، ودقأ لمناخركم، وقصدأ لمقاتلكم، وسوقأ بجزائم القهر إلى النار
المعدّة لكم، فأصبح أعظم في دينكم جرحاً، وأورى في دنياكم قدحاً، من
الذين أصبحتم لهم مناصبين، وعليهم متألّيين.

فاجعلوا عليه حدّكم، وله جدّكم، فلعمر الله لقد فخر على
أصلكم، ووقع في حسبكم، ودفّع في نسبكم، وأجلب بخيله عليكم،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

وقصد برجله سبيلكم، يقتنصونكم بكلّ مكانٍ، ويضربون منكم كلّ بنانٍ، لا تمتنعون بجيلةٍ، ولا تدفعون بعزيمةٍ، في حومة ذلٍّ، وحلقة ضيقٍ، وعرصة موتٍ، وجولة بلاءٍ»^(١).

٩- تبرأ الشيطان من الإنسان:

وفي نهاية المطاف فإنّ الشيطان سيتخلّى عن الإنسان ويتركه بحسراته، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وزين سيئات الجرائم، وهون موبقات العظام، حتى إذا استدرج قرينته، واستغلق رهينته، أنكر ما زين، واستعظم ما هون، وحتّر ما آمن»^(٢).

وقال عليه السلام في الخوارج: «إنّ الشيطان اليوم قد استفلّهم، وهو غداً متبرئ منهم ومحلّ عنهم»^(٣).

وذلك كما ورد في القرآن الكريم عن لسان إبليس: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدْتُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨١.

٤- إبراهيم: ٢٢.

الإنسان المنكوس

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فمن لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم يُنكر منكرًا، قلب فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه»^(١).

يشير أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكلام المبارك إلى مرض نفسي يعترض الإنسان ويغيّر موازينه وطريقة تفكيره وسلوكه، فيقلب أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، ويصير منكوساً، وهذا النموذج قد أعيى الأنبياء عليهم السلام وأتعبهم على طول التاريخ، حتى إن الله تعالى يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول له: «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا»^(٢)، ويقول: «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»^(٣).

وهنا يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض أسباب هذه الانتكاسة وهذا التقهقر، التي منها تغيير معالم الدين وتحريف مبادئه السامية، قال عليه السلام: «أيها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٦٥.

٢- الكهف: ٦.

٣- الشعراء: ٣.

الإناء بما فيه»^(١).

وقال عليه السلام: «تواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق، فإذا كان كذلك كان الولد غيظاً، والمطر قيظاً، وتفيض اللثام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً، وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكالاً، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصدق، وخاض الكذب، واستعملت المودة باللسان، وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولبس الإسلام لُبس الفرو مقلوباً»^(٢).

وقال عليه السلام: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلّا رسمه، ومن الإسلام إلّا اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة من البنى، خراب من الهدى، سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة، يردّون من شدّة عنها فيها، ويسوقون من تأخّر عنها إليها»^(٣).

ومنها ترك الهدى والبينات، قال عليه السلام: «فيا عجباً! وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها! لا يقتصّون أثر نبيّ، ولا يقتدون بعمل وصيٍّ، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفّون عن عيب، يعملون في الشبهات، ويسرون في الشهوات،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٧.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦١.

المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في العضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأن كل امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها يرى بعرض ثقات، وأسباب محكمات»^(١).

وقال عليه السلام: «فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ وأهله منفيان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو، فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليس فيهم، ومعهم وليس معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، فاجتمع الناس على الفرقة، واقتروا عن الجماعة كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه، ولا يعرفون إلا خطه وزبره»^(٢).

وقال عليه السلام: «واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد المواولة أحزاباً، ما تتعلقون من الاسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا اسمه، تقولون النار ولا العار، كأنكم تريدون أن تكفئوا الاسلام على وجه انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه، وأمناً بين خلقه»^(٣).

ومنها مرض القلوب، قال عليه السلام: «لو فكروا في عظيم القدرة،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٧.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والأبصار مدخولة»^(١).

ومنها ترك اصلاح النفس، قال عليه السلام: «فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ومدت به شياطينه في طغيانه، وزينت له سيء أعماله»^(٢).

ومنها موارد المعرفة حيث إذا كانت خبيثة لا تنتج إلا السوء، قال عليه السلام: «فاعلم ان لكل عمل نباتاً، وكل نبات لاغنى به عن الماء، والمياه مختلفة، فما طاب سقيه طاب غرسه، وحلت ثمرته، وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرت ثمرته»^(٣).

ومنها متابعة الدنيا والوله اليها، قال عليه السلام: «أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره، وأمراض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع باذن غير سمیة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، ووهت عليها نفسه، فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها، حيثما زالت زال اليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها، لا ينزجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ»^(٤).

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٧.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٨.

وقال عليه السلام: «قد تصافيتم على رفض الأجل، وحبّ العاجل،
وصار دين أحدكم لعقة على لسانه، صنيع من قد فرغ من عمله،
وأحرز رضى سيده»^(١).

وقال عليه السلام: «ازدحموا على الحطام، وتشاحوا على الحرام، ورفع
لهم علم الجنة والنار، فصرفوا عن الجنة وجوههم، وأقبلوا إلى النار
بأعمالهم، دعاهم ربهم فنفروا وولّوا، ودعاهم الشيطان فاستجابوا
وأقبلوا»^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً يذكر سائر أوصافهم: «قلوبهم دوية،
وصفاحهم نقية، يمشون الخفاء، ويدبّون الضراء. وصفهم دواء،
وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرّخاء، ومؤكّدوا البلاء،
ومقنطوا الرّجاء.

لهم بكلّ طريق صريع، وإلى كلّ قلب شفيح، ولكلّ شجو دموع،
يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا الحفوا، وإن عدلوا كشفوا،
وإن حكموا أسرفوا. قد أعدّوا لكلّ حقّ باطلاً، ولكلّ قائم مائلاً،
ولكلّ حيّ قاتلاً، ولكلّ باب مفتاحاً، ولكلّ ليل مصباحاً، يتوصّلون إلى
الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلامهم^(٣). يقولون
فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هيأوا الطّريق، وأضلعوا المضيق،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٤.

٣- أعلامهم: أمتعتهم.

فهم لمة الشيطان، وحمة التيران ﴿أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾^(١) «^(٢)».

وقال عليّ: «واعلموا رحمكم الله انكم في زمان القائل فيه بالحق قليل، واللسان عن الصدق قليل، واللازم للحق ذليل، أهله معتكفون على العصيان، مصطلحون على الإدهان، فتاهم عارم، وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارئهم بماذق، لا يعظم صغيرهم كبيرهم، ولا يعول غنيهم فقيرهم»^(٣).

١- المجادلة: ١٩.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٢.

نهاية المطاف

إن حياة الإنسان الدنيوية تشرف على الانتهاء عندما يحتضر الإنسان، ويكون على أبواب عالم الآخرة التي هي إما «شقوة لازمة أو سعادة دائمة»^(١).

ولذا كان عليه السلام يكثر في تذكير الانسان بالموت والاستعداد له، ويقول: «أسمعوا دعوة الموت أذانكم قبل أن يدعى بكم»^(٢)، وكان عليه السلام يوصي ابنه الإمام الحسن عليه السلام ويقول: «يا بني أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرک، وشددت له أزرک، ولا يأتيك بغتة فيبهرك»^(٣).

وقال عليه السلام: «واستعدوا للموت فقد أضلکم، وكونوا قوماً صحيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به... وإن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

العُدَّة، فتزوّدوا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدأً»^(١).
وقال عليه السلام: «تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلّوا
العُرْجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بمحضرتكم من الزاد»^(٢).
وقال عليه السلام: «وبادروا الموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله،
وأعدّوا له قبل نزوله... وبادروا آجالكم بأعمالكم، فأنكم قوم مرتهنون
بما أسلفتم، ومدينون بما قدّمتم، وكأنّ قد نزل بكم المخوف، فلا رجعة
تنالون، ولا عشرة تقالون»^(٣).

هذا ومن أراد المزيد، فليراجع كتاب «منازل الآخرة في نهج
البلاغة» من سلسلة في رحاب نهج البلاغة، وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الغرّ الميامين.



-
- ١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٦٣.
 - ٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٤.
 - ٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

الفهرس

الصفحة	العنوان
٥	تمهيد
٧	١- الله والإنسان
٧	١- الخلق
١٠	٢- معرفة الخالق
١٥	٣- الإيمان والإسلام
٢١	٤- الحجة الإلهية
٢١	١- العقل
٢٥	٢- الأنبياء والرسول
٢٧	رسول الله ﷺ
٢٨	الثقلان
٢٩	ألف - القرآن
٣٠	ب - العترة
٣٢	٢- الإنسان والعبودية
٣٤	١- العمل الصالح
٣٩	٢- التقوى
٤٢	١- النجاة في الدنيا والآخرة
٤٣	٢- الفوز بالجنة
٤٣	٣- البعد عن الشبهات
٤٤	٤- الحث على العمل
٤٤	٥- البعد عن الذنوب

الصفحة	العنوان
٤٥	٦- التغلب على الشيطان
٤٥	موانع التقوى
٤٥	١- الخصومة
٤٥	٢- عدم حفظ اللسان
٤٥	٣- حب الدنيا
٤٥	٤- متابعة الشهوات
٤٥	٥- الطمع
٤٦	٣- أداء الفرائض
٤٧	٤- الذكر
٤٨	٥- ترك الذنوب والخطايا
٥١	٣- الإنسان والدنيا
٥١	١- الدنيا قنطرة
٥٢	٢- إتمام الحجة في الدنيا
٥٣	٣- الابتلاء في الدنيا
٥٨	٤- الاعتبار من الدنيا
٦٢	٥- الاغترار بالدنيا
٦٣	ألف- نسيان الله تعالى
٦٤	ب- ترك الهدى والبيئات
٦٤	ج- التمسك بالدنيا
٦٤	د- نسيان الموت
٦٥	هـ- الغفلة
٦٨	٦- أصناف الناس في الدنيا
٧٦	٤- الإنسان والبيئة
٧٨	٥- الإنسان والشيطان
٧٨	١- العصيان
٨٠	٢- أهداف الشيطان

الصفحة	العنوان
٨٠	٣- جنود الشيطان
٨٢	٤- منافذ الشيطان
٨٤	٥- سبل الشيطان
٨٥	٦- التخلص من الشيطان
٨٥	٧- الاعتبار من عاقبة الشيطان
٨٦	٨- الحذر من الشيطان
٨٧	٩- تبرأ الشيطان من الإنسان
٨٨	٦- الإنسان المنكوس
٩٤	٧- نهاية المطاف
٩٦	الفهرس